

الدكتور ماثيو س. هارمون، رسالة بولس الرسول إلى أهل فيليبي ، ابتهجوا بإنجيل يسوع المسيح الجلسة الأولى: مقدمة إلى رسالة بولس الرسول إلى أهل فيليبي بقلم تيد هيلدبراندت، BiblicaleLearning.org موقع ،

"هذا ماثيو س. هارمون يقدم درسه عن رسالة بولس الرسول إلى أهل فيليبي، بعنوان "افرحوا بإنجيل يسوع المسيح. هذه هي الجلسة الأولى، مقدمة إلى رسالة بولس الرسول إلى أهل فيليبي.

أهلاً بكم في هذه الدورة التدريبية عن رسالة بولس الرسول إلى أهل فيليبي.

أنا الدكتور مات هارمون، أستاذ دراسات العهد الجديد في كلية غريس ومعهد غريس اللاهوتي. ويسعدني أن أتناول هذه الرسالة العظيمة التي كتبها بولس إلى أهل فيليبي.

وأود أن أشير إلى أن الكثير مما أتحدث عنه في هذه الدورة مستوحى من هذا التعليق الذي كتبتة ضمن سلسلة تعليقات المرشد. ستجدون في هذا التعليق معلومات وافية عن رسالة بولس إلى أهل فيليبي. لذا أدعوكم للاطلاع عليه إن رغبت في التعمق أكثر مما نتناوله في هذه الدورة.

لذا، عندما نبدأ دورة كهذه، أحب دائماً أن أوضح ما نسعى لتحقيقه. ما هو هدفنا؟ أقول إن لدينا هدفين لهذه الدورة تحديداً عن رسالة بولس إلى أهل فيليبي. أولهما هو ببساطة تنمية محبتنا وولائنا ليسوع المسيح. لقد أنزل الله علينا الكتاب المقدس ليكشف لنا ذاته، وليعزز محبتنا لله وللآخرين.

هذا هو لب ما قاله يسوع عندما سُئل: ما هي أعظم وصية؟ فأجاب: أحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قوتك. والثانية مثلها: أحب قريبك كنفسك. ثم قال: بهاتين الوصيتين تُعلّق الشريعة والأنبياء، وأن الكتاب المقدس كله أُعطي لنا لنُعين أنفسنا على محبة الله ومحبة قريبنا.

لذا، فإن أوضح تجلٍّ لمن هو الله نجده في يسوع المسيح. وهذا هو هدفنا، حتى ونحن نتأمل في هذه الرسالة التي كتبها بولس. أما الهدف الثاني فهو أن ننمو في فهمنا وتطبيقنا للإنجيل، وفي قدرتنا على استيعاب عمق الإنجيل وما فعله الله من أجلنا، وكيف نُجسد ذلك في حياتنا اليومية.

إذن، هذان هما الهدفان اللذان وضعناهما لأنفسنا في هذه الدورة عن رسالة بولس إلى أهل فيليبي. وكيف سنحقق ذلك؟ حسناً، سنبدأ بالاعتراف بحاجتنا إلى الله، وطلب بركته ومنحنا الحكمة بالروح القدس. إن الكتاب المقدس يحتاج إلى دراسة متعمقة، وهو غني بالمعلومات، لكننا نحتاج إلى عون الله لفهمه فهماً صحيحاً.

جانب آخر مهم هو طرح أسئلة جيدة. ورغم أن هذه الدورة ليست تفاعلية، إلا أنه من الجيد أن تكتسب عادة طرح الأسئلة على النص. أثناء قراءتك وتعمقك ودراستك، فكّر في أسئلة جيدة تطرحها على النص.

وأخيراً، التعلّم معاً. ومرة أخرى، هذه ليست دورة تفاعلية بالمعنى الحرفي، لكنني أشجعكم بشدة على مشاركة ما يُعلّمكم إياه الرب في دراستكم لرسالة بولس إلى أهل فيليبي كلما سنحت لكم الفرصة للتفاعل مع الآخرين. هذه أمور جوهرية.

هذه عناصر أساسية في كل درس أرغب في تدريسه. لذا، فهذا يمهد الطريق لنا. والآن، دعونا نتعمق في فهم الرسالة التي كتبها بولس إلى أهل فيليبي.

عند قراءة أي نص من الكتاب المقدس، من المهم التأكد من فهمه في سياقه الصحيح. لذا، سنتناول ثلاثة أنواع مختلفة من السياق. النوع الأول هو ما سنسميه سياق الفداء.

بمعنى آخر، أين نحن في القصة الكتابية؟ ما الذي يحدث عندما نعرث على هذه الرسالة؟ بما أن الكتاب المقدس عبارة عن سردية شاملة تمتد من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا، فإننا نريد أن نتأكد من فهمنا الجيد لموقعنا في هذه القصة مع هذه الرسالة تحديداً. ولذا، قد يبدو بعض هذا واضحاً للوهلة الأولى، لكن من المهم أن نتذكره. أولاً، كُتبت هذه الرسالة بعد حياة المسيح وموته وقيامته وصعوده.

لقد جاء المسيح الموعود، وأتم خلاص شعبه، وصعد الآن إلى يمين عرش الآب حيث يحكم الخليقة. ثانياً، انسكب الروح القدس على شعب الله ليسكن فيهم. لذلك، نعيش في فترة زمنية مشابهة لتلك التي كان أهل فيليبي يتلقون فيها هذه الرسالة، حيث انسكب الروح القدس ليسكن في شعب الله.

ثالثاً، تتوسع الكنيسة في جميع أنحاء العالم بفضل قوة الروح القدس في نشر الإنجيل. كان هذا يحدث في زمن أهل فيليبي، ويحدث حتى في أيامنا هذه. مع ذلك، ثمة بعض الاختلافات الطفيفة بين وضعنا ووضع أهل فيليبي في قصة الفداء تلك.

ولعلّ أبرز اختلاف هو أنه عندما كتب بولس إلى أهل فيليبي، لم يكن الكتاب المقدس قد اكتمل بعد. لذا، نحن الآن في مرحلة من تاريخ الخلاص حيث لدينا مجمل وحي الله. وبالتالي، يمكننا مقارنة ما كتبه بولس بما كتبه يوحنا، وما كتبه متى ولوقا، بينما لم يكن أهل فيليبي يتمتعون بهذه الميزة عندما تلقوا هذه الرسالة.

ربما كان بإمكانهم الاطلاع على بعض الرسائل الأخرى التي كتبها بولس، لكن لم يكن لديهم اطلاع على الكتاب المقدس كاملاً. وثمة تشابه أخير يتمثل في أن المسيح لم يعد بعد. ولذا، فنحن، مثل أهل فيليبي، نجد أنفسنا في موقف انتظار عودة المسيح.

إذن، هذا هو موقعنا في قصة الكتاب المقدس عند كتابة رسالة بولس الرسول إلى أهل فيليبي. والآن، دعونا نتحدث قليلاً عن السياق التاريخي والثقافي. كيف بدأت الكنيسة في فيليبي؟ ولن نتطرق إلى قراءة النص كاملاً، لكن المقطع الرئيسي هو سفر أعمال الرسل، الإصحاح 16، من الآية 6 إلى 40.

إنها فقرة مطولة للغاية، تروي قصة نشأة كنيسة فيليبي. كان بولس وتيموثاوس جزءاً من فريق تبشيري، وتلقيا دعوة إلهية، إن صح التعبير، للقدوم وإعلان الإنجيل في مقدونيا. وكان ذلك في حوالي عام 49 أو 50 ميلادياً.

بعد فترة وجيزة من موت يسوع وقيامته، بدأت الكنيسة بالتوسع. وعند قراءة سفر أعمال الرسل 16، نلاحظ أن الله حتى تلك اللحظة، كان يمنع بولس من التبشير بالإنجيل في مدن مختلفة. فكان يذهب إلى تلك المدن، ويذكر النص "عبارات مثل": لكن روح يسوع منعنا من التبشير بالإنجيل.

ولا بدّ أن تتخيل مدى الإحباط والحيرة التي شعر بها بولس، المدعو لنشر الإنجيل بين الأمم، بين غير اليهود، بينما كان الروح القدس يقول: ليس هنا، ليس الآن، لأنه كان يُفكر في أهل فيليبي، وكان ينتظر وصول بولس إلى تلك المرحلة. لذا سنتناول هذا الأمر بالتحديد أثناء قراءتك لسفر أعمال الرسل، الإصحاح السادس عشر. في الإصحاح السادس عشر، إذا تابعت القراءة، ستجد قصة اهتداء امرأة تُدعى ليديا.

وهذا هو سفر أعمال الرسل، الإصحاح السادس عشر، بدءاً من الآية الحادية عشرة. أبصرنا من ترواس، وسافرنا مباشرة إلى ساموثراكي، وفي اليوم التالي إلى نيبوليس، ومن هناك إلى فيليبي، وهي مدينة رئيسية في مقاطعة مقدونيا ومستعمرة رومانية. مكثنا في هذه المدينة بضعة أيام، وفي يوم السبت، خرجنا من البوابة إلى ضفة النهر، حيث نظن أنه كان هناك مكان للصلاة، فجلسنا وتحدثنا إلى النساء اللواتي اجتمعن.

كانت إحدى النساء اللاتي استمعن إلينا امرأة تُدعى ليديا من مدينة ثياتيرا، بائعة أقمشة أرجوانية، وكانت تعبد الله. ففتح الرب قلبها لتصغي إلى ما قاله بولس. وبعد أن اعتمدت هي وأهل بيتها، حثنا قائلة: إن كنتم ترونني مؤمنة بالرب، فتعالوا إلى بيبي وأقيموا.

وقد أقنعنا. وهكذا، فإن أول من اعتنق المسيحية في فيليبي هي امرأة تُدعى ليديا. ونتيجةً لاعتناقها المسيحية، يبدو أن ليديا قد آوت بولس وفريقه، مما يدل على أنها كانت على الأرجح امرأة ميسورة الحال استطاعت إيواء بولس وفريقه بأكملها.

والآن، عند متابعة تلك الرواية، نجد قصة إضافية يرويها لوقا عن حدث وقع. فبينما كان بولس يبشر بالإنجيل في مدينة فيليبي، أثار ذلك جدلاً واسعاً. وكانت نقطة التحول عندما أخرج بولس شيطاناً من جارية، مما تسبب في مشاكل كبيرة لصاحبها، لأنه كان يستغل كلامها لتحقيق مكاسب شخصية.

كانت تعاني من شيطان يُمكنها من قول ما يُفيد مالكي عبدها. وبطبيعة الحال، ما إن زال ذلك الشيطان، حتى قام هؤلاء الملاك النافذون بتسليم بولس وسيلاً إلى السلطات. ونتيجةً لذلك، رُج بولس وسيلاً في السجن لليلة واحدة.

وتظن أن هذه كارثة على انتشار الإنجيل في فيليبي. ولكن في الحقيقة، كان الأمر عكس ذلك تماماً، لأن الرب كان لديه خطة لإعلان الإنجيل بقوة. فبينما كان بولس وسيلاً في السجن يُرثمان الترانيم، حدث زلزال هائل.

وفجأة، انكسرت القيود، وأصبحوا أحراراً في الهرب. وعندما اكتشف السجناء ذلك، فكّر: يا إلهي، سيهربون، وأنا المسؤول عن ذلك. وكاد أن يؤدي نفسه عندما قال بول: انتظر، كننا هنا.

ثم نجد هذا المقطع الجميل في سفر أعمال الرسل، الإصحاح السادس عشر، حيث ينادي السجناء على المصابيح - في الآية ٢٩ - ثم يندفع إلى الداخل، ويرتجف من الخوف، ويسقط أمام بولس وسيلاً. ثم أخرجهما وقال: «يا سيدي، ماذا يجب أن أفعل لأخلص؟» فأجابه بولس في الآية ٣١: «آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك.» وهكذا بشّره بالإنجيل وشرّاه له. فأخذ السجناء بولس وسيلاً إلى بيته واعتنى بهما.

وفي صباح اليوم التالي، عندما حضرت سلطات المدينة لإطلاق سراح بولس وسيلاً، رفضا الذهاب طواعيةً في البداية مطالبين باعتذار. وكشفاً أنهما مواطنان رومانيان، وأن ما فعلتموه بهما مخالف للقانون الروماني. ولذلك، عندما سمعت السلطات الرومانية ذلك، انتابها خوف شديد مما قد يفعله بولس وسيلاً.

وهكذا يقتربون منهم، ويعتذرون، ثم يسمحون لهم بالمضي في طريقهم. هذه هي الرواية الأساسية لما حدث مع تأسيس الكنيسة في فيليبي. فهناك الإفراج المعجزي من السجن واهتداء السجناء وأهل بيته.

وطلب بولس وسيلاً المغادرة. والآن، إليكم معلومة صغيرة مثيرة للاهتمام ستلاحظونها إذا قرأتم سفر أعمال الرسل بعناية. إحدى سمات هذا السفر هي ما يُعرف بـ"مقاطع نحن"، أي أن كاتب أعمال الرسل يصف الأحداث بضمير "الغائب، أي بضمير الغائب "هم" و"هو".

"ثم تأتي هذه المقاطع، كما في سفر أعمال الرسل 16، حيث يبدأ فجأةً باستخدام ضمائر مثل "نحن" و"لنا" و"خاصتنا". والاستنتاج الذي يُستخلص من ذلك هو أن لوقا يُشير إلى أنني كنت جزءاً من تلك الأحداث. كنت مع بولس.

والأمر المثير للاهتمام هو أن أحد مقاطع "نحن" هذه يبدأ هنا بقصة استدعاء بولس إلى فيليبي. ثم يتوقف عند نهاية "فترة وجود بولس في فيليبي. يتابع بولس حديثه، وفجأةً، يعود الأمر إلى استخدام ضمائر الجمع "هم" و"هن" و"هو".

استخدام ضمائر الغائب بدلاً من ضمائر المتكلم. ويبدو أن هذا يشير إلى أنه عندما رحل بولس وسيلاً، بقي لوقا على الأرجح لفترة من الزمن وكان يخدم بنشاط في كنيسة فيليبي. هذه معلومة مثيرة للاهتمام وردت نتيجة لما نراه في سفر أعمال الرسل.

هذه هي قصة نشأة الكنيسة في فيليبي. والآن، علينا أن نتحدث قليلاً عن طبيعة مدينة فيليبي القديمة. ومرة أخرى، يجب أن نكون حذرين وأن نُقر بأن هذه مجرد تقديرات، وهي أفضل التخمينات المبنيّة على المعلومات التاريخية المتوفرة لدينا.

علينا أن نتوخى الحذر من التمسك برأي قاطع بشأن بعض هذه الاستنتاجات. ولكن وفقاً لأفضل التقديرات التي أعرفها، يبدو أن عدد سكان فيليبي كان يتراوح بين 10 و15 ألف نسمة. ورغم أنها كانت قرية، ومدينة تضم عددًا من المحاربين القدامى، وكانت مستعمرة رومانية، إلا أن أقل من 5% من سكانها كانوا مواطنين رومانيين.

معذرةً، كان أقل من 40% منهم مواطنين رومانيين. وهذا ما سيوضح لاحقاً في الكتاب، في الفصل الأول. إذ يخبرنا سفر أعمال الرسل نفسه أن فيليبي كانت مدينة رئيسية في مقاطعة مقدونيا، وكانت تقع على طريق تجاري هام في العالم القديم.

وهكذا، كانت تمر عبرها كميات كبيرة من البضائع والتجارة. ولذلك، كانت مدينة عالمية بامتياز، حيث كان الناس يدخلونها ويخرجون منها باستمرار.

وباعتبارها مستعمرة رومانية، كانت فكرة مدينة فيليبي أن تكون نسخة مصغرة من روما. كانت اللاتينية اللغة الرسمية، ولكن في الواقع كانت اليونانية منتشرة على نطاق واسع أيضًا. كان هناك عدد من المحاربين القدامى والمزارعين في المناطق المحيطة، مما خلق مزيجًا فريدًا من الأفراد في فيليبي.

وثمة حقيقة لا جدال فيها، وهي تنطبق على كل مدينة يونانية ورومانية رئيسية في زمن بولس، وهي التعددية الدينية الكبيرة. ومن بين الآلهة الأكثر شيوعًا التي كانت تُعبد هناك: سيلفانوس، وديونيسوس، وأولينيدس.

وهناك أدلة أيضاً على وجود عبادة الإمبراطور. وهذا موضوعٌ مثيرٌ للجدل في الأوساط الأكاديمية، إذ يُثار التساؤل حول مدى انتشار هذه العبادة، أي تقديس الإمبراطور الروماني. ومن المنطقي، إذا كانت فيليبي مستعمرة رومانية، أن يكون هذا الأمر حاضراً بقوة في الحياة المدنية لمدينة فيليبي.

من بين السمات اللافتة التي ربما لم تلاحظ أهميتها، أن بولس عندما وصل إلى فيليبي، اختلف قليلاً عن عاداته المعتادة فعندما كان يصل إلى هذه المدن في العالم القديم، كان أول مكان يقصده في أغلب الأحيان هو المجمع اليهودي. كان يبحث عن مجمع يهودي ويتطلع إلى فرصة للتبشير بالإنجيل هناك.

لكن في فيليبي، لم يكن هناك كنيس. في الواقع، كل ما ذكر هو مكان الصلاة هذا، الذي يُرجّح أنه كان قرب نهر خارج مدينة فيليبي. ورغم ضرورة توخي الحذر عند استخلاص استنتاجات قاطعة من هذا، يبدو من المعقول الاستنتاج بأنه لم يكن هناك عدد كافٍ من الرجال اليهود لتأسيس كنيس في فيليبي.

وإذا كان الأمر كذلك، فإن هذا يدل، وفقاً للتقاليد اليهودية، على أن عشرة رجال، عشرة رجال يهود، كانوا يُشكلون كنيساً. وإذا لم يتوفر هذا العدد، فكانت العادة أن يجتمع الناس للصلاة، غالباً قرب مصدر ماء، يوم السبت للصلاة والعبادة. ولذا، فإن ما ورد في سفر أعمال الرسل يُشير إلى أن عدد اليهود في فيليبي كان شبه معدوم أو ضئيلاً للغاية.

وإذا تذكرتم القصة، فإن إحدى التهم الموجهة إلى بولس، عندما أحضره مالكو العبيد أمام السلطات (في سفر أعمال الرسل، الإصحاح 16)، قالوا في الآية 20: هؤلاء الرجال يهود، وهم يُثيرون الفوضى في مدينتنا. إنهم يدعون إلى عادات لا يجوز لنا نحن الرومان قبولها أو ممارستها. وهكذا، حتى في الطريقة التي اتهموا بها بولس وسبلاً، يُظهر سفر أعمال الرسل أنهم، بمعنى ما، يستغلون حقيقة أن هؤلاء يهود، ولا يوجد يهود حقيقيون هنا في فيليبي، وأنهم يدخلون عادات أجنبية تُخالف طريقة تفكيرنا ومعتقداتنا كرومان.

وأخيراً، يُعدّ هذا الموقع هنا في فيليبي أول امتداد معروف للإنجيل في أوروبا المعاصرة. فقبل ذلك، كان الإنجيل ينتشر في الشرق الأوسط ومحيطه، والآن مع دخول بولس إلى فيليبي، يُعدّ هذا أول امتداد معروف للإنجيل في أوروبا المعاصرة. هذه نبذة عن مدينة فيليبي.

والآن، دعونا نتحدث عن الكنيسة في فيليبي. وكما ذكرنا سابقاً، نستقي معلوماتنا من سفر أعمال الرسل، وكذلك من رسالة بولس الرسول إلى أهل فيليبي. أول ما تطرقنا إليه هو أن معظمهم من غير اليهود.

إذن، كانت الجماعة تتألف في معظمها من مؤمنين من غير اليهود. عندما أسس بولس هذه الكنيسة حوالي عام 49 أو ميلادياً، أي بعد حوالي عقد من الزمن عندما كتب هذه الرسالة، نجد أنفسنا أمام ما يمكن وصفه بكنيسة مستقرة 50

انقضت فترة الاضطراب والفوضى الأولية، واستقرت الكنيسة الآن لدرجة وجود مشرفين وشمامسة. فهناك هيكل تنظيمي وسلطة قائمة، مما يدل على أن الكنيسة قد دخلت مرحلة استقرار. ومن الأمور اللافتة للنظر عند قراءة رسالة بولس الرسول إلى أهل فيليبي، والتي سنصادفها مراراً، أن كنيسة فيليبي كانت كنيسة سخية للغاية.

كما سيشير بولس، فقد تبرعوا بسخاء لتلبية احتياجاته ومساعدته على نشر الإنجيل. وهذا ما يميز كنيسة فيليبي عن غيرها من الكنائس التي أسسها بولس. فمنذ البداية، سادها كرمٌ فياض، ورغبة صادقة في أن يكونوا عوناً لبولس وللآخرين.

وأخيرًا، على الرغم من أن النبذة العامة للرسالة هي نبذة فرحة وامتنان، إلا أن هناك بعض المؤشرات على وجود تحديات داخل كنيسة فيليبي. ومن أبرز سمات هذه الرسالة أن بولس يذكر شخصين بالاسم ويطلب منهما أن يتفقا ويجدا حلًا لمشاكلهما، وأن يكفا عن الجدال، وأن يتفقا في الرب. وهذا ليس من السمات الشائعة في رسائل بولس عادةً.

سيحدث عن الفصائل والانقسامات وما شابه، لكن ليس من المعتاد أن يذكر أسماء هؤلاء الأفراد. وهذا يدل على أن الأمر كان أعمق من مجرد خلاف شخصي، بل بدأ يحدث تداعيات داخل جماعة فيليبي. ويقول بولس: عليكم إصلاح هذا الوضع.

يجب عليكم إيجاد طريقة للتصالح فيما بينكم. ومن التحديات الأخرى التي تبدو قائمة وجود قدر من الاضطهاد، ولم يوضح بولس نوع هذا الاضطهاد.

لكن كما سنرى عند الوصول إلى ذلك المقطع في الفصل الأول، أعتقد أن الأمر على الأرجح يتعلق بالجانب الاقتصادي. ولذا، كان على بولس أن يحذرهم من ضرورة الثبات في وجه الاضطهاد. ثم أشار أيضًا إلى الخطر المحتمل للمعلمين الكذبة.

في هذه المرحلة من حياة بولس، كان على دراية بالتعاليم الخاطئة التي بدأت تظهر، والتي كان عليه أن يحصن كنيسته ضدها. وأخيرًا، يشير إلى هذه المجموعة من الناس التي يصفها بأعداء الصليب. ولا نعرف الكثير عن هوية من يقصدهم تحديدًا في ذلك الفصل.

لكن عندما نصل إلى تلك النقطة، سنتحدث عما كان يثير اهتمامهم وما كانوا يروجون له على الأرجح. مع ذلك، أرى أن هذه العناصر لا تزال غير بارزة في الرسالة. فالنبذة العامة والموضوع العام هما بالتأكيد الفرح والامتنان.

ولمجرد ملاحظة الفرق، إذا قرأت رسالة بولس إلى أهل فيليبي بجانب رسالة بولس إلى أهل غلاطية مثلاً، ستجد اختلافًا كبيرًا في الأسلوب والمضمون. أو اقرأها بجانب رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس. ستجد اختلافًا كبيرًا في الأسلوب والمضمون.

وهكذا، يتناول بولس بعض هذه المخاوف، لكن الصورة العامة التي تتبلور عن كنيسة فيليبي هي صورة كنيسة مستقرة، سليمة، وكريمة، يشعر بولس بامتنان عميق لها. لذا، علينا الآن أن نتحدث عن الظروف التي كانت سائدة عندما كتب بولس هذه الرسالة. ويمكننا تقسيمها إلى سلسلة من الأمور التي يمكننا التأكد منها، ثم سنحتاج إلى توضيح بعض النقاط الناقصة.

لنبدأ بالأولى. سُجن بولس في روما. وأود أن أتوقف هنا لأشير إلى وجود بعض النقاشات والحوارات الأكاديمية التي تشير إلى أن بولس ربما لم يُسجن في روما، بل اقترح آخرون أفسس أو كورنثوس أو قيصرية.

وكل هذه الاحتمالات واردة، لكنها في رأيي ليست السيناريو الأرجح. لذا سنمضي قدمًا على افتراض أن بولس مسجون في روما، وأن أهل فيليبي سيكتشفون ذلك بطريقة ما.

علموا أن بولس مسجون في روما، فأرسلوا أبفروديتس، أحد أعضاء كنيسة فيليبي، حاملًا هدية لبولس. فأرسلوه من فيليبي إلى روما ليقدمها له.

وهذا أحد الأسباب التي تدفع بعض الباحثين إلى التشكيك في كون ذلك حدث أثناء سجن بولس في روما، إذ كانت الرحلة ستكون طويلة. ومع ذلك، أعتقد أنه من الممكن أن يكون بولس في روما. أرسل أهل فيليبي أبفروديتس بهذه الهدية.

وفي مرحلة ما من الرحلة، مرض أبفروديتس، وسمع أهل فيليبي بذلك. وفي النهاية، وصل أبفروديتس إلى روما، ومع ذلك أخبرنا بولس أن أبفروديتس كان في ضيق. كان قلقًا من أنه يُسبب الحزن والإحباط لكنيسة فيليبي، وأنهم سيشعرون بالقلق أيضًا.

حسنًا، هل سيتمكن أبفروديتس من إيصال الهدية التي أرسلناها؟ كثيرًا ما نعتبر في عالمنا المعاصر سهولة وأمان إرسال الأموال للمحتاجين أمرًا مفروغًا منه. في العالم القديم، كان أبفروديتس سيحمل تلك الأموال بنفسه، مُعرِّضًا نفسه

لخطر التعرض للهجوم أو السرقة. لذا يُمكنكم فهم قلق كنيسة فيليبي من احتمال سرقة الأموال التي جمعوها لتقديمها كبركة لبولس، وعدم وصولها إلى وجهتها.

لكن إيبافروديتوس يصل إلى روما، ويرسله بولس إلى فيليبي بهذه الرسالة تحديدًا. وهذا هو تسلسل الأحداث التي أدت إلى وصول هذه الرسالة إلى أهل فيليبي. لذا، إذا افترضنا أن بولس كان مسجونًا في روما وقت كتابتها، فمن المرجح أنها كُتبت بين عامي 60 و62 ميلاديًا.

وهكذا، يُمهد هذا الطريق للسياق التاريخي. لقد تناولنا السياق الخلاصي، والآن سنلقي نظرة سريعة على السياق الأدبي. من المفيد دائمًا الإلمام بالنطاق العام للرسالة ومسارها.

إذن، ما هو هيكل رسالة بولس إلى أهل فيليبي؟ يمكننا تقسيمها إلى ثلاثة أقسام رئيسية. لدينا مقدمة، ثم متن الرسالة، ثم الخاتمة. وفي المقدمة، يركز بولس على انتشار الإنجيل.

كما سنرى، سيتحدث عن كيفية استمرار انتشار الإنجيل وتقدمه، رغم وجوده في روما. ثم، في صلب الرسالة، سيتحدث عن ضرورة العيش كمواطنين صالحين في ملكوت الله، بما يليق بالإنجيل.

وسنرى كيف يُطوّر بولس هذه الحجة. وعندما نصل إلى هذا الجزء، سنُخصّص أيضًا جزءًا كبيرًا من الوقت لما يُسمى بترنيمة المسيح. إنها بمثابة النقطة المحورية، والجوهر الرئيسي في رسالة بولس إلى أهل فيليبي 2. هذه الصورة المجيدة لمن هو المسيح وما فعله من أجلنا وكيف رفعه الله.

وهذا هو جوهر الرسالة الرئيسية. وعندما نصل إلى النهاية، أشرتُ إلى هذا الجزء بالنمو والامتنان في الإنجيل. لذا سيقدم بولس تشجيعاته ونصائحه الأخيرة، بالإضافة إلى التعبير عن امتنانه للعتاء الذي أرسله إليه أهل فيليبي.

هذا يعطينا الصورة العامة، نظرة شاملة أشبه بنظرة عامة من ارتفاع خمسين ألف قدم. وسنتعمق في كل منها بتفصيل أكبر خلال هذه الدورة. ولتمهيد الطريق لما سنفعله، أود أن أطلعكم على لمحة سريعة عن بعض المواضيع الرئيسية التي ستُطرح خلال هذه الرسالة.

ومن بين المواضيع التي تلفت انتباه القراء فورًا عند قراءة رسالة بولس إلى أهل فيليبي، تلك النبرة المميزة من الفرح والابتهاج. ومما يزيد الأمر وضوحًا أن بولس كان يكتبها وهو رهن الإقامة الجبرية في روما، أي أن حياته لم تكن تسير على ما يرام. كان يكتب من منطلق أن جميع ظروف حياته تسير كما يتمنى، ولذا كان من السهل أن يدعو إلى الفرح. كلا، في الواقع، كان بولس يكتب من وضع قد يؤدي إلى موته، ومع ذلك كان يدعو أهل فيليبي إلى الفرح.

أما الموضوع الثاني، فهو الإنجيل بشكل أوسع، أي مركزية شخصية يسوع، وما فعله من أجلنا، وكيف ينطبق ذلك على حياتنا اليومية.

ثم، بالطبع، يدور الإنجيل نفسه حول يسوع المسيح. وسنرى في رسالة بولس إلى أهل فيليبي، الإصحاح الثاني، أحد أروع الأوصاف للمسيح، لحياته وطاعته، بل وحتى لوجوده قبل تجسده. وسنتعمق في هذا الموضوع ونتعمق فيه.

رابعًا، يوم المسيح. وهذا ما يتكرر في عدة مواضع، يوم المسيح. فكرة أن المسيح، في نهاية التاريخ البشري، هو من سينفذ دينونة الله. وهذا أمرٌ لافتٌ للنظر، لأن العبارة في العهد القديم هي "يوم الرب". وقد عدّل بولس ذلك ليقول إنه في الواقع يوم المسيح أيضًا. وضرورة استعدادنا ليوم المسيح، وعيشنا في ضوء ذلك اليوم الأخير، هو تأكيدٌ يتكرر في عدة مواضع في رسالة بولس إلى أهل فيليبي أيضًا.

خامسًا، الشركة والشراكة. تُترجم الترجمات الإنجيلية هذه المجموعة من الكلمات بطرق مختلفة، ولكنها في جوهرها فكرة المشاركة المشتركة في فوائد الإنجيل والمشاركة المشتركة في كل ما فعله الله من أجلنا.

وأخيرًا، موضوع رئيسي آخر - وهناك مواضيع أخرى، لكن الموضوع الرئيسي الأخير هو ما سنشير إليه بالعقلية السليمة التي ينبغي أن نتحلى بها. وهذا يتجاوز مجرد النظرة الفكرية. فهو يشمل ما نميل إلى التفكير فيه عند استخدام مصطلح "نظرة العالم"، ولكنه أوسع من ذلك.

يشمل ذلك قيمنا المشتركة، وأولوياتنا المشتركة، وأسلوب حياتنا. لذا، لا يقتصر الأمر على امتلاك مجموعة صحيحة من المعتقدات الفكرية فحسب، بل هو نهج شامل للحياة ينبغي علينا تبنيه كمؤمنين. وما سيخبرنا به سفر فيليبي هو أننا في الواقع يجب أن نتبنى فكر المسيح في حياتنا.

إذن، قبل أن نختتم مقدمتنا عن رسالة بولس إلى أهل فيليبي، يبقى أمر أخير، وهو استخدام العهد القديم. ورغم أن رسالة فيليبي لا تحتوي على اقتباسات كثيرة من العهد القديم كما هو الحال في رسائل أخرى مثل غلاطية أو رومية، إلا أن العهد القديم يُشار إليه ويُستعان به للحديث عن ثلاثة محاور رئيسية. أولها شخص المسيح وعمله.

وسنرى ذلك عندما نصل إلى ترنيمة المسيح في الإصحاح الثاني، من الآية الخامسة إلى الحادية عشرة. أما الأمر الثاني فهو هوية شعب الله. ولذلك يستند بولس إلى العهد القديم ليساعدنا كمسيحيين على فهم هويتنا وكيف ينبغي لنا أن نعيش.

وأخيراً، سنرى كيف استعان بولس بالعهد القديم لفهم خدمته الرسولية. وإذا رغبتُم في المزيد من التفاصيل، فقد أعددتُ مقالاً موجزاً يمكنكم الاطلاع عليه في قاموس استخدام العهد القديم في العهد الجديد، والذي يتناول جوانب عديدة من استخدام بولس للعهد القديم في رسالته إلى أهل فيليبي. وهذا يُعطينا فكرة جيدة للبدء.

وأتطلع بشوقٍ إلى التعمق في النص نفسه في جلستنا القادمة.

هذا ماثيو س. هارمون في درسه عن رسالة بولس الرسول إلى أهل فيليبي، بعنوان "افرحوا بإنجيل يسوع المسيح". هذه هي الجلسة الأولى، مقدمة إلى رسالة بولس الرسول إلى أهل فيليبي.